

أنا وأنت على الطريق المقارنة بين الأولاد

هل تحاولين المقارنة بين أطفالك؟ أولادك؟ وبناتك؟

تعالى يا سيدتي لنستمع إلى قصة نوال التي كانت تقارن دائما بين أبنائها. ولقد دوّنت اختبارها في إحدى المجالات المسيحية. وسنتعرّف بعدها إن كانت المقارنة بين الأولاد شيء صحي أم على العكس.

لدى نوال ثلاثة أولاد هم إيهاب ومجدي وسامر. إيهاب هو الإبن الأكبر وكان متفوقا في دراسته على عكس أخيه مجدي. ولذلك كانت والدته فخورة به جداً. وحاولت بشتى الطرق أن تحسّن من مستوى مجدي ليصبح متفوقا. ولكنها فشلت إذ كانت دائما تصفه بأنه غبي وأقل ذكاء من أخيه. وتضغط عليه كثيرا في المذاكرة فكان مجدي يشعر بأنه يتحمل فوق طاقته، وقد أثر هذا على محبته لأخيه بسبب المقارنة المستمرة.

وذات يوم رفض مجدي أن يستيقظ من نومه للذهاب إلى المدرسة. فما كان من نوال إلا أن نهته أمام أهل البيت. فقام من سريره مذعورا . ذهلت نوال إذ رأت كل ملابسه مبللة وكذلك فراشه. لم تفهم نوال أنه كان لا يريد أن يخرج من سريره حتى لا يخجل أمام إخوته. وقف مجدي منكس الرأس يمتلكه الخجل أمام توبيخ أمه، إذ وصفته بأنه متخلف عقليا وأن أخاه الأصغر منه لا يفعل مثل هذا. ولكن عاد هذا الحدث ليتكرر مرات عدة. قررت عندها نوال أن تأخذ مجدي للطبيب لمعرفة السبب الحقيقي وراء ذلك. وبعد الكشف قرر الطبيب أنه ليس به أي مرض عضوي. ونصحها أن تعرضه على طبيب نفسي، الذي شرح لها بدوره حالة مجدي بأنها حالة نفسية للشعور بالنقص وأنه غير محبوب. وكان كلُّ هذا نتيجة للضغط الشديد عليه، وتفضيل أخيه الأكبر. وأوصاها ألا تلجأ إلى أسلوب المقارنة لأنها تولّد الكراهية والنفور بين الإخوة كما نصحها أن تقبل ابنها وتشجعه، وتحاول أن تمدحه على الأمور التي يتفوق فيها.

وعندما علمت الأم المشكلة من الطبيب النفسي، صلّت نوال كثيرا وطلبت من الله أن يعطيها الحكمة. واعتذرت لابنها مجدي الأصغر على طريقة معاملتها له. وحاولت بعد ذلك أن تعوّضه عن توبيخها له ونهرها المستمر. ومع مرور الوقت تحسّنت حالته. واكتشفت نوال أن مجدي موهوب جدا في الرسم والأعمال الفنية. وعرضت إنتاجه على الأهل والأصدقاء، وهي تتحدث عنه بكل

فخر. وأعطته مالا ليشتري أدوات وخامات ليرسم عليها. ثم عرضت هذه الأشغال في معارض. وهنا اكتشفت نوال حقيقة مهمة جدا. فبالرغم من أن إيهاب هو أكثر ذكاء من مجدي في الدراسة إلا أن مجدي يتميز عن أخيه بالبراعة والابتكار.

وأدركت عندها نوال أنه يجب ألا تقارن بين أبنائها. أما الصغير سامر فلقد كانت ميوله مختلفة عن أخويه إذ اكتشفت أنه أكثر قدرة على التعامل مع الآخرين وتكوين الصداقات من أخويه. وكبر الأولاد الثلاثة وكان لكل منهم مستقبل رائع. إذ تخرج الابن الكبير إيهاب من كلية الهندسة. وتخرج مجدي من كلية الفنون الجميلة والابن الثالث سامر تخرج من كلية الآداب ودرس فيما بعد المشورة وصار مستشارا وسط الشباب.

ما هو رأيك يا سيدتي بهذه القصة الواقعية؟ نعم لم تكن نوال تتصرف صحيحا عندما كانت تقارن بين أولادها الثلاثة. وعندما شجعت كلا منهم نجحوا في أدائهم وتخرج كل واحد منهم بحسب ميوله. نعم يا سيدتي لقد أكدت الأبحاث أن الذكاء عند الطفل له ثلاث اتجاهات: ذكاء أكاديمي، أي الذكاء في الدراسة والتحصيل. والذكاء الاجتماعي وهو الذكاء في العلاقات العامة وتكوين الصداقات. وذكاء يدوي وهو فيما يتعلق بالفنون والرسم والأشغال اليدوية.

والآن هل عرفت اتجاه وميول ولدك أو ابنتك؟ وهل تشكرين الله على هذه الميول والمواهب؟ وهل تشجعين كل ولد بحسب ميوله ورغباته واتجاهاته يا سيدتي الأم؟ اسمعي ماذا يقول الكتاب المقدس كلمة الله الحية في هذا الشأن على لسان النبي والملك سليمان الذي وهبه الله حكمة غير عادية فقال: **رب الولد في طريقه فمتى شاخ لا يحيد عنه.** (أمثال ٢٢: ٦)

أي ربّ الولد بحسب ميوله واتجاهاته لأنه عندما يكبر لن يتخلى عنه... إذ يود الكثير من الوالدين أن ينفذوا كل رغبات ولدهم ولكن هذا يضر به على المدى الطويل. فعندما يعلم الوالدان ابنهما كيف يتخذ قراراته، يصبح عليهما ألا يلاحظا كل خطوة يخطوها. فهما يعلمان أنه سيظل على الطريق الصحيح لأنه اختار بنفسه.

كذلك يا سيدتي فلقد خلق الله كل إنسان ومنحه مواهب تختلف عن الشخص الآخر، حتى تكتمل الصورة وإلا تصبح الخليفة على نفس النسق والمنظر أليس كذلك؟ اسمعي ماذا يقول أيضا الرسول بولس أحد رسل المسيحية الأوائل: **لو كان كل الجسد عينا فأين**

السمع؟ لو كان الكل سمعا فأين الشم؟ وأما الآن فقد وضع الله الأعضاء كل واحد منها في الجسد كما أراد. ولكن لو كان جميعها عضوا واحد ، أين الجسد؟ (١كو ١٧: ١٢-١٩)

إن الله يا صديقتي لا يريد أن يكون الإنسان نسخة عن أخيه الإنسان لهذا خلق كل واحد مختلفا عن الآخر. لكنه طلب من تابعيه وأولاده الحقيقيين أن يكون مشابهيين صورة واحدة ووحيدة ألا وهي صورة يسوع المسيح المخلص. كيف؟ طلب منهم أن يشابهوه في المحبة والتواضع وحياة القداسة. فهل سمعت بيسوع المسيح؟ إنه المخلص الذي أرسله الله إلى عالمنا لكي يفدينا نحن البشر الخاطئة من الخطية ويجعلنا مطهرين ومبررين أمام الله. فهل تتقين به وتؤمنين بما عمله من أجلك أنت شخصيا؟ لأنك إذا فعلت فستحصلين على الحياة الأبدية في دار النعيم .
